

يَسُرُّ الْقَنَوَاتِ الرَّسْمِيَّةَ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

طَلَعَتْ عَبْدَ الرَّزَّاقِ زَهْرَانَ -حَفِظَهُ اللهُ- أَنْ تَقَدِّمَ لَكُمْ:

تَفْرِيعَ مُحَاضِرَةٍ : فَضْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ

ضِمْنَ فَعَالِيَّاتِ الدُّورَةِ الْأُولَى لِلْمَلْتَقَى السَّلْفِيِّ الْعِلْمِيِّ بِفَرَنْسَا

الْقَنَوَاتِ الرَّسْمِيَّةِ وَالْأَسَاسِيَّةِ لِلشَّيْخِ:



@zahranzahran



@talaeatzahran



@ Eilamftawy

الرَّحْمَةُ الْمَغْنُومَةُ

<http://rahek.com/>

أَلْقَاهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ طَلَعَتْ زَهْرَانَ -حَفِظَهُ اللهُ-

بِتَارِيخِ: 14 رَجَبِ الْآخِرِ 1442 هـ

الْمُؤَافِقِ لِيَوْمِ 1 دَيْسَمْبَرِ 2020 م

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

فمرحباً بالجميع في الملتقى السلفي العلمي الأول بفرنسا، وبارك الله في المشرفين عليه، ونسأل الله - عز وجل - أن يكون مثمراً مغدقاً. وقد ر الله أن أكون أنا الذي أبدأ هذا اللقاء في تلك الدورة المباركة. والموضوع المختار هو: فضل العلم والتعلم

فنقول: إن الحمد لله، نحمده نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، ونصلي ونسلم على خير خلقه محمد ﷺ

ثم نقول: إن فضل العلم والتعلم أمرٌ ظاهرٌ في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ. والله تبارك وتعالى قال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: 28]

يعني: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم؛ يرفعه في الدنيا والآخرة. ورفعة الدرجات تدل على الفضل؛ لأن المراد بالرفعة: كثرة الثواب في الدنيا بعلو المنزلة وعلو المكانة وتوقير الناس، وحسن الصّيت، وبعلو المنزلة في الجنة في الآخرة. طبعاً علو المنزلة والمكانة وتوقير الناس في الدنيا، العالم وطالب العلم لا يبحث عنهم؛ وإنما الله عز وجل هو الذي يؤتيه.

والرفعة في الآخرة هي المرادة حين يفخر الإنسان ويقول: ﴿هَاؤُمِ اقْرَعُوا كِتَابِيهِ﴾ [سورة الحاقة: 19]. حين يرفع الله عز وجل أهل العلم، وأهل العلم هم الشهداء كما قرر ذلك ابن القيم وغيره من أهل العلم.

**فالعلماء هم شهداء الله في الأرض، وهم في درجة الصديقين.** ولذا ابن القيم رحمته الله لما حصر طبقات المكلفين يوم القيامة وذكر ثماني عشرة طبقة ذكر الطبقة الأولى: هي طبقة أصفياء الرسل، **الصفوة: المختارون من الرسل**، المصطفون الأخيار، ثم بقية الرسل في الطبقة الثانية، ثم الأنبياء في الطبقة الثالثة، ثم الصديقون في الطبقة الرابعة وعطف على الصديقين؛ عطف عليهم الشهداء، وقصد بالشهداء العلماء، وفصل ذلك ابن القيم رحمته الله في آخر كتاب طريق الهجرتين فالله عز وجل يرفع العلماء رفعةً عظيمةً.

وفي صحيح مسلمٍ عن نافع ابن عبد الحارث الخزاعي وكان عاملَ عمر على مكة. يعني عمر  
ﷺ أمير المؤمنين - خليفة المسلمين - عيّن على مكة والياً هو نافع بن عبد الحارث  
الخزاعي

وكان عمر ﷺ في طريقه في سفرٍ إلى مكة، فلقي نافع بن عبد الحارث - الذي هو والي مكة  
لقيه بعسفان - . فقال له: من استخلفت؟ يعني من الخليفة؟ من النائب الذي ينوب عنك في  
مكة في غيابك؟

فقال: استخلفت ابن أبزة. - يقصد عبدالرحمن ابن أبزة - . قال: استخلفت ابن أبزة مولى لنا  
مولى: يعني كان عبداً فأعتق.

فقال عمر ﷺ: استخلفت مولى؟! يتعجب عمر ﷺ. قال: يا أمير المؤمنين إنه قارئٌ  
لكتاب الله، عالمٌ بالفرائض.

قارئٌ لكتاب الله: ليس فقط يقرأ الكتاب ويحسن تلاوته، أو أنه ليس فقط يحفظه؛ بل هو  
يقرأه القراءة التي فيها التدبر التام؛ لأن تدبر القرآن فرض عين على كل من يقرأ القرآن، يتدبره  
 ويفهم ما فيه ويعمل بما فيه؛ لأن النبي ﷺ ينادي ربه يوم القيامة ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا  
هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان:30]

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: من لم يقرأ القرآن فقد هجره. فيجب على كل مسلمٍ  
أن يقرأ القرآن مرةً واحدةً على الأقل في كل شهر

قال: من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره، ومن قرأ  
القرآن وتدبر معانيه ولم يعمل بما فيه فقد هجره

فتدبر القرآن فرض لأن الله عز وجل قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة  
محمد:24]

ولابد من العمل بما فيه فهو دأب الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ كما روى ابن عمر رَحِمَهُمُ اللهُ أنه الواحد من  
الصحابة كان يقرأ العشر آياتٍ من القرآن فلا يجاوزها حتى يعمل بها.

فالمهم أن نافع ابن عبد الحارث ولى عبدالرحمن ابن أبزة وهو مولى - عبد سابق - على مكة  
- نائباً عنه -؛ لأنه قارئٌ لكتاب الله، عالمٌ بالفرائض - يعني عالم بالمواريث، وعالمٌ بالحدود

. فقال عمر رضي الله عنه وقد أقر ما فعله نافع، قال: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين ».

فالله تبارك وتعالى يُعلي شأن الذين يعملون بكتاب الله عز وجل قراءةً وتدبراً وعملاً، يرفعهم سبحانه ويضع به آخرين، يعني يضع الذين لا يأبهون بالقرآن، أو يقرؤونه ولا يجاوز حناجرهم، أو يقرؤونه ويتدبرونه ولا يعملون بما فيه، أو يتكسبون به متاعاً من الدنيا كذلك فإن الله - عز وجل - قال: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [سورة طه: 114]

فلم يأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطلب الزيادة أو الازدياد من شيءٍ إلا من العلم. لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يزداد من المال، أو أن يطلب الزيادة في الصحة والعافية، أو أن يطلب الزيادة في العمر وطول البقاء في الدنيا؛ لا، أو أن يطلب من الله عز وجل زيادةً في البسط في الأرض؛ لا، كل الأمور به أن يزداد علماً.

**والمراد بالعلم طبعاً العلم الشرعي؛** لأن العلوم الدنيوية النافعة تابعة للعلم للشرعي

كذلك فإن الله - عز وجل - قال: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الزمر: 9] معناها أن الذين يعلمون أرفع درجةً من الذين لا يعلمون، نعم. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [سورة فاطر: 28]

فالعلماء هم الذين يضيفون إلى الخوف من الله علماً وتعظيماً للرب عز وجل ، وهذا هو معنى الخشية؛ لأن الخوف انكسار القلب من الله، فإذا زاد فهو الرهبة، فإذا اقترن بالعلم والتعظيم فهو الخشية.

ولذا العلماء شركهم الله - عز وجل - معه - سبحانه - في الشهادة. قال: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾ [سورة آل عمران: 18]

وقال الله تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾ قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿ [سورة الكهف: 65,66]

فهنا البخاري رحمته الله أورد هذه الآية تحت باب **الرحلة في طلب العلم**. فيرحل موسى عليه السلام وهو نبيٌّ عظيمٌ من أولي العزم من الرسل، وهو أعلم الناس في زمنه، يرحل إلى من هو أقل منه علماً؛ لأن عنده شيئاً من العلم ليس موجوداً عند موسى عليه السلام

فيرحل موسى عليه السلام إلى مجمع البحرين ليلتقي بالخضر ويطلب منه أن يتعلم منه العلم الذي لديه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسيره قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتَيْنِ﴾ [آل عمران: 79] قال:

يعني كونوا حُلَمَاءَ فقهاء؛ بماذا؟ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]

فالعبد لا يمكن أن يكون ربانيا حليماً فقيهاً، لا يمكن إلا بدراسة الكتاب وتعلم الكتاب، قال: حلمااء فقهاء

فالعالم الرباني هو الذي يتعلم العلم الشرعي ويعلم العلم الشرعي بحلم وفقهٍ ومراعاة للأحوال والظروف.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » فريضة يا شباب، طلب العلم ليس شيئاً مستحباً، ليس في وقت فراغك، هذا فريضة، فريضة مثل فرائض الله عزّ وجلّ، فريضة مثل الصلاة والصيام والزكاة « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وهذا في صحيح ابن ماجه وفي صحيح الجامع وفي صحيح الترغيب والترهيب، فهو فريضة على كل مسلم، سبحانه يا رب

لذا روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » فالله عز وجل إذا أراد بك كوناً وإذا أراد بك الخير وجّهك لتعلم الدين وفقهك فيه، لأن الفقه فهمٌ في الدين، والفهم لا يكون إلا من الله عزّ وجلّ

قال: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وبمفهوم المخالفة لهذا الحديث، أنّ من لم يتفقه في الدين لم يرد الله به خيراً، فهو محروم، الذي يرفض طلب العلم والذي يبتعد عن طلب العلم الشرعي محروم

مفهومه: أن من لم يتفقه في الدين أي لم يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حُرِمَ الخير، لأن هناك علم ما لا يسع المسلم جهله، وهو علم العقيدة بتفصيله، ثم علم الطهارة علم الفقه الطهارة والصلاة وما لا يستغني المسلم عنه، فهذا ما لا يسع المسلم جهله، لا بد للإنسان أن يتفقه في الفريضة وأما تعلم بقية العلوم الشرعية فهذا من المستحبات

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وهو حديث صحيح رواه ابن ماجه، وهو في صحيح الترغيب والترهيب.

فريضة، طلب العلم فريضة، وليس شيئاً مستحباً، ليس شيئاً تتكرم به؛ بل هو فرض عليك، مثل ما فرض عليك أن تصلي وأن تصوم؛ بل إنه لا توجد عبادة إلا بالتعلم أصلاً

**طلب العلم فريضة، يعني: طلب ما لا يسع المسلم جهله** يعني: علم العقيدة وكذلك علم الطهارة والصلاة، وعلم ما يلزم المسلم في حياته، وهذا حديث صحيح في صحيح الترغيب والترهيب وفي ابن ماجه

وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** » فالله عز وجل إذا أراد كوناً بك الخير يفقهك في الدين.

كيف؟ تسعى أنت للتفقه والله يمن عليك ويعلمك ويفقهك سبحانه. ومفهوم المخالفة للحديث: أن من لم يتفقه في الدين هو محروم من الخير، لا يريد الله عز وجل به خيراً؛ فهذا شيء عظيم جداً.

العلم رفع رفعة عظيمة، ولماذا يرفعهم سبحانه؟ لأنهم أهل الخشية، والخشية هي خوف الله بالعلم، لأن الخوف درجات

الخوف ما هو؟ **الخوف انكسار القلب من الله، وإذا زاد قليلاً فهو الرهبة، وإذا اقترن بالعلم والتعظيم فهو الخشية**

فهنا العلماء هم الذين يخشون الله، فيهم التعظيم وفيهم العلم، قال الله: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ** **مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [سورة فاطر: 28] أسلوب قصد لا خشية إلا لأهل العلم

ولذا البخاري رضي الله عنه أورد هذه الآية تحت باب: **باب الرحلة في طلب العلم** فهنا موسى عليه السلام يرحل إلى مجمع البحرين طلباً للعلم، فالرحلة في طلب العلم كانت من باب العلماء

قال له موسى: - استأذنه وهو أفضل منه - ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ** **رُشْدًا** ﴾ [سورة الكهف: 66]، ألا أتبعك وتعلمني مما علمك الله رُشداً؟ سبحانه الله

أفضل رسول على وجه الأرض في ذلك الوقت، وهو رسول عظيم جداً، ومع ذلك يأمره الله تبارك وتعالى أن يذهب إلى مجمع البحرين يجد عبداً صالحاً على صخرة ويتعلم من هذا العبد الذي هو الخضر، وموسى عليه السلام أعلم من الخضر، لكن الخضر على علم ببعض الأمور يتعلمها منه موسى عليه السلام

وروى البخاري ومسلم وأحمد وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **الناس معادن في الخير والشر، كمعادن الذهب والفضة** » الناس معادن، فعلاً فالناس

أصول مختلفة، هناك أناس أفاضل جدا مثل الذهب وهم أهل العلم وأهل الضبط ، وهناك أناس مثل الفضة ذو خير كثير، وهناك أناس مثل الزنك مثل الفلوس مثل النحاس مثل الرصاص

فالناس معادن في الخير والشر كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، فالإنسان إذا تفقه صار من خير الناس

ولذا رفع الله عزّ وجلّ بلالا الحبشي رضي الله عنه بالإسلام وبالعلم في الإسلام، ويرفع الله عزّ وجلّ علماء كثر مثل طاووس ومجاهد والحسن البصري ولم يكونوا من العرب، ولكن الله عزّ وجلّ يرفعهم بالعلم الشرعي

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا؛ فالمعادن لما كان إذا استُخرج المعدن ظهر ما اختلف منه ولا تتغير صفته، فالنحاس يخرج نحاسا ويظل نحاسا، والذهب يخرج ذهباً ويظل ذهباً، لا يوجد في الأرض ذهب يخرج من الأرض ثم يتحول إلى نحاس، ولا يوجد في الأرض فضة تخرج من الأرض ثم تتحول إلى رصاص، لا ... المعادن لا تتغير، أصولها لا تتغير لذاتها

فمن كان شريفا عظيماً في الجاهلية، فهو إما رأس في الجاهلية فهو إن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من غيره في الجاهلية

قال: **«إِذَا فَقَّهُوا»** شَرَطُ؛ به إشارة إلى أن الشرف ليتم إلا بالتفقه في دين الله، ولو أن إنساناً عظيم رأسه ثم أسلم بعد الجاهلية ولم يتفقه في الدين فإنه لا يصير رأساً، والفضل كله لأهل العلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»** حديث عظيم جدا رواه الترمذي، وهو في صحيح الترمذي صححه الشيخ الألباني

يقول قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»**

ما معنى الدنيا ملعونة؟ معناها أنها مبعوضة من الله لا تساوي شيء، ولذا أنتم لو رأيتم رجلين يقتتلان في الدنيا مثلاً على بعوضة، ثم قلت ما هذه التفاهة؟ رجل يقاتل رجلاً على بعوضة؟ ما هذه التفاهة؟ أو رجل يقاتل رجلاً على جُنْيِهِ مثلاً أو دينار، فما بالكم لو أن الدنيا كلها أصلاً لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فهي مبعوضة مُبَعْدَةٌ عن الله إلا ما أحبه الله من أعمال البر وأفعال القُرب، لأن أعمال البر وأفعال القُرب ناتجة عن ذكر الله تبارك وتعالى،

فلا يفعل خيراً إلا من يذكر الله عزّ وجلّ، ولا يفعل قرابة من القربات إلا من يذكر الله تبارك وتعالى، إلا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم  
لأن الناس ثلاثة كما ذكر علي بن أبي طالب:

✓ إما عالم

✓ أو متعلم على سبيل النجاة

❶ وإما هُمُج رِعا ع

فكن الأول أو الثاني ولا تكن الثالث فتهلك

وروى الترمذي أيضاً عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذُكر لرسول الله صلى الله عليه وآله رجلا ن أحدهما عابِد والآخر عالِم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»، فضل العالم على العابد كفضل الرسول صلى الله عليه وآله على أدنى الناس، لأن العالم وريث النبي صلى الله عليه وآله، والعلماء ورثة الأنبياء، فقال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**» هذا الحديث في صحيح الترمذي حديث صحيح

هنا أنظر، الله يصلي على العلماء. الله أكبر، والملائكة تصلي على العلماء، الله يصلي على العلماء يعني يثني عليهم، والملائكة تدعو لهم بالرحمة وتثني عليهم، وأهل السماوات والأرضين من أهل الخير، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت حتى السمك في البحر يصلون يعني يدعون لمعلم الخير، ليصلون على معلم الناس الخير يدعون له، فهذا فضل عظيم جداً

فانظر أنت الآن تطلب العلم، فيستغفر لك أهل السماوات وأهل الأرض والنمل في الجحور والحيتان يستغفرون بك ويصلون عليك

وروى الإمام مسلم في صحيحه وغيره عن قيس بن كثير قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء رضي الله عنه في مسجد دمشق، فجاءه رجل -وأبو الدرداء كان قارئاً-

فقال: يا أبا الدرداء، إني جئت من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله - يعني جئت من المدينة إلى هنا في دمشق ألفين كيلومتر -

فقال أبو هريرة: ما أقدمك يا أخي؟ - يعني لماذا تركت المدينة وجئت إلى هنا؟- قال: حديث بلغني أنك تحدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله - يعني أنا جئت فقط لأنه يوجد حديث تعرفه عن النبي صلى الله عليه وآله أريد أسمع منك -

قال: أما جئت لحاجة؟ يعني هل أتيت لشيء آخر؟ قال: لا

قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، ما جئت إلا في طلب هذا الحديث. سافر ألفين كيلومتر من المدينة لدمشق لحديث، ليتلقى حديثاً، رحلة في طلب العلم

قال أبو الدرداء: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»

هذا الحديث والله حديث عظيم جدا

أولاً: الرجل جاء مخلصاً، جاء فقط يريد طلب العلم وفقط من أجل حديث واحد، هذا

حديث واحد يطلب أن يسمعه من أبي الدرداء رضي الله عنه؛ فأبو الدرداء استبشر به وتذكر وذكر حديث النبي ﷺ ولعل الرجل أتى لهذا الحديث: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا»

أيها الشباب، أنتم الآن حين تنضمون إلى هذه الدورة، تسلكون طريقاً تطلبون فيه هذا العلم الشخص الذي انضم إلى غرفة الدروس، الذي يذهب إلى عالم، الذي يحرص على استماع أسرطة العلماء، فهو قد سلك طريقاً يطلب فيه العلم، والذي يسلك طريقاً يطلب فيه علماً يسهل الله له به طريقاً من طرق الجنة

دل ذلك على أن طلب العلم من طرق الجنة، «وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها لطالب العلم» يعني الملائكة تخشع رضا بما يصنع، رضا بأنه يطلب العلم

«وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» الملائكة والرب سبحانه يثني عليه ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر

«وَفَضَلَ الْعَالَمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ» في ليلة البدر، انظر في ليلة البدر تجد القمر، القمر إنه نور عظيم جداً يطغى على جميع الكواكب كلها ليلة البدر

«وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ» فإياها الطلاب خذوا بهذا الميراث، الميراث وافي موجود، لا يستطيع أحد ان يحرمكم منه، متاح بل كل ما أخذ منه زيد غير المال، المال إذا أخذ منه نقص، أما العلم كلما يؤخذ منه يزداد

وروى الطبراني عن صفوان ابن عفان رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على بُردٍ له أحمر - النبي ﷺ له بُردة؛ عباءة حمراء، حمراء يعني حمراء ذات خطوط ليست حمراء صافية؛ لأنه لا يجوز لبس الأحمر الصافي للرجال-

فقلت له يا رسول الله: إني جئت أطلب العلم، فقال: «**مرحبًا بطالبِ العلمِ إنَّ طالبَ العلمِ لتحقُّهُ الملائكةُ** -الملائكة حوله- **وتظلُّهُ بأجنحتها ثم يركبُ بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماءَ الدنيا من حُبِّهم لما يطلبُ**» حديث صحيح رواه الطبراني صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ثلاثة وثلاثين سبعة وتسعين، وفي صحيح الترغيب والترهيب

وروى الطبراني في الأوسط أيضًا، عن عبد الله الرومي أنه قال: مرَّ أبو هريرة رضي الله عنه بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: **يا أهل السوق ما أعجزكم**

قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: **ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسَم وأنتم ها هنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم!** -الميراث يُقسَم الآن وأنتم هنا مشغولون بالتجارة والبيع والشراء وتتركون نصيبكم منه-

قالوا: أين هو؟ فقال: **في المسجد**، فخرجوا سراعا إلى المسجد، وخرجوا هم يظنون أن هناك أموالا تُوزَع في المسجد- فخرجوا سراعا إلى المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا

فقال لهم: **ما لكم؟** قالوا: يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فلم نرى فيه شيئًا يُقسَم، قال: **أما رأيتم في المسجد أحدًا؟** قالوا: بلى رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرأون القرآن وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام -يعني رأينا حلقات؛ حلقة يقرأون القرآن، وحلقة أناس يصلون معه، وحلقة يقرأون القرآن يتدبرونه ويتدارسون الحلال والحرام-

فقال لهم أبو هريرة رضي الله عنه: **وَيَحْكُمُ! فذاك ميراث محمد ﷺ**. رواه الطبراني في الأوسط وهو حديث صحيح صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ثلاثة وثمانين

فهنا ميراث النبي ﷺ يُقسَم؛ كل يوم يُقسَم، والوسائل الحديثة الآن، تستطيع أن تنال من ميراث النبي ليل نهار؛ تدخل الغرف وتدخل المواقع وتدخل الصفحات، سبحان الله! وتدخل القنوات؛ قناة الشيخ الفوزان، قناة الشيخ ربيع، قناة الشيخ محمد بن هادي وقناة الشيخ عبيد، سبحان الله! العلماء متوافرون، لا إله إلا الله

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم -إذا الذي أرسل به النبي ﷺ ما هو؟ الهدى والعلم- كمثل غيثٍ أصاب أرضًا؛-الغيث هو المطر النافع، المطر النافع يسمى غيث-**

كمثل غيثٍ أصاب أرضًا، والأرض أنواع ثلاثة؛ فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير - في أرض طينية صالحة ينزل عليها الماء، ماء الغيث تقبله وتُنبت الثمرات، العشب الكثير - وكان منها أجادب أمسكت الماء - الأرض الجذباء أرض مثلاً صخرية ولكن تستطيع حفظ الماء فعلى شكل آبار، يستفيد منها الماء - فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، - هي لم تستفد، لكن الناس استفادوا وشربوا وسقوا وزرعوا هم أنفسهم شربوا وسقوا بهائمهم منها - وأصاب منها طائفةً أخرى - النوع الثالث من الأرض - إنما هي قيعان أرض رملية؛ لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً - لا هي تستفيد من الماء ولا تزرع ولا شيء ولا تكون آباراً - فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم - طالب علم متميز يتعلم من العلماء ويحفظ العلم، ويعلمه ويبليغ «بلغوا عني ولو آية» - ومثل من لم يرفع بذلك رأساً - ومثل أناس أمامهم العلم، ولكن هو مشغول، يتابع مسرحيات وتمثيلات وشبكات غير نافعة ومواقع غير صالحة، لكن ليس عنده وقت لدعاء ولا لعلم ولا لتعلم ولا لصلاة - ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» هذا مثال عظيم جدا من رسول الله ﷺ أن الأراضي ثلاثة، فكونوا أيها الشباب الأرض الأولى: الأرض التي تقبل الماء وتنبت الزرع

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين - يعني لا حسد مقبول يقبله الله ويسامح فيه، بل يثيب عليه الأجر الذي هو يسموه الغبطة، إلا في اثنتين - رجل أتاه الله مالا فسَلَّطه على هلكته في الحق - رجل رزقه ربنا المال ينفق منه ويتصدق ويزكي وينفقه في وجوه الخير، فهذا يُحسب على هذا، ومعنى يُحسب: أن يتمنى الإنسان أن يكون مثله يقول: يا ليتني مثل فلان يعطيني الله فأصرف مثل ما ينفق فلان - سَلَّطه على هلكته - يعني على هلكة المال في الحق - ورجل أتاه الله الحكم - يعني العلم - فهو يقضي بها ويُعلمها»، فالإنسان يتعلم الحكمة، يتعلم العلم الشرعي ويُعلم العلم الشرعي

وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في تفسير قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [سورة التَّحْرِيم: 6] قال: **عَلِّمُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيَكُمْ الْخَيْرَ**؛ وهذا الحديث رواه الحاكم وهو حديث صحيح في صحيح الترغيب والترهيب

كذلك روى الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم - لعلَّ هذا الحديث أكبر فائدة في هذا الدرس؛ كيف يأتي العلم؟ بالتعلم - والجلم بالتعلم، ومن يتحرى الخير يُعطه، ومن يتوقُّ الشر يُوقه» الذي يريد العلم يتعلم

والتعلم سهل وميسور، والذي يريد أن يكون حليماً يَتَحَلَّم وَيُعَلِّم نفسه الصبر، أما واحد يقول: أنا ما عندي خُلُق، كيف ما عندك خلق؟ تَصَبَّر، التَّصَبَّر لابد منه

**ومن يتحرى الخير يُعْطِه**» الذي يبحث عن الخير الله يعطيه إياه **« ومن يتوقُّ الشرَّ يُوقِه »** وهو حديثٌ صحيح في الطبراني في الأوسط وفي صحيح الجامع والسلسلة الصحيحة

طيب، لعلنا نسوق هذا الحديث ولعله يُختم به حديثٌ رواه البخاري: قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ابْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **« إِنْ لَلَّهِ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ - هُنَاكَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَائِكَةِ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقَاتِ يَبْحَثُ عَنْ أَهْلِ ذِكْرٍ، مَا مَعْنَى أَهْلِ الذِّكْرِ؟ هَلْ أَهْلُ الذِّكْرِ هُمُ الصُّوفِيَّةُ الَّذِينَ يَرْقُصُونَ هُوَلاءَ يَرُدُّونَ مَا لَا يَفْقَهُونَ؟ لَا، لَكِنْ يَلْتَمِسُ أَهْلَ ذِكْرِ يَتَدَارَسُونَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ - فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَتَادُوا هَلُمَّوْا إِلَى حَاجَتِكُمْ؛ - الْمَلَائِكَةُ تَنَادِي بَعْضُهَا الْبَعْضَ -**

قال: **فِيحَقُّونَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ -** يحيطون بطلاب العلم الذين يتذكرون، والملائكة بأجْنَحَتِهِمْ يركب بعضهم بعضاً لغاية السماء الدنيا- قال: **فيسألهم ربهم وهو أعلم: ما يقول عبادي؟ قالت الملائكة: يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله ما رأوك، - وطبعاً لا أحد رأى الله - سبحانه وتعالى - ولا الملائكة ولا جبريل ولا حملة العرش، ولا يرى الله إلا يوم القيامة سبحانه -**

قال: **فيقول: وكيف لو رأوني؟ - الجمال؛ جمال الله - سبحانه وتعالى - وأعظم لذة وأعظم نعيم، النظر إلى وجه الله - فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيذاً وأكثر لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألونني؟ - يعني ماذا يريدون؟ - قال: يسألونك الجنة، قال: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا ربي ما رأوها، قال: فكيف لو أنهم رأوها، وما فيها من نعيم وجنات وحوار عين وأنهار، قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً، وأشدَّ لها طلباً - والحرص عليها يكون بالطاعات، ومن أعظم الطاعات طلب العلم؛ طلب العلم جهاد في سبيل الله والعلماء مجاهدون بل هم الشهداء -**

قال: **فِمَّا يَتَعَوَّذُونَ؟ قال: يقولون يتعوذون من النار، قال: وهل رأوها؟ قال: لا والله يا ربي ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ بما فيها من أنكار وجحيم وطعامٌ ذا غصة وعذاب أليم، شجر الزقوم؛ - أعوذ بالله - قال: يقولون لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً، وأشدَّ لها مخافة، قال: «فيقول: فأشهدكم - الله - عز وجل - يُشْهِدُ الْمَلَائِكَةَ - أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» انظروا يا شباب؛ جلسة تعلم علم شرعي الله - عز وجل - يُشْهِدُ مَلَائِكَتَهُ أَنَّهُ غَفَرَ لَهُمْ، نحن نسأل الله - عز وجل - أن يغفر الله لنا جميعاً**

قال: **يقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة؛** -يعني واحد ليس من طلاب العلم فجاء يريد حاجة معينة، يريد يقترض مالا ولا شيء فوجد أهل العلم- فقال ربنا -عز وجل-: **هم الجُلساء لا يشقى بهم جليسهم**؛ يعني لو في أحد الآن يسمعنا وليس من طلاب العلم ولكن قدر الله أن هذه أول مرة يسمعنا فهو لا يشقى؛ لأنه مع جلسائه

فهذا الحديث طبعاً رواه البخاري، وسبحان الله!

فأنت أيها الأخ الفاضل أيها الأبناء الأفاضل، إذا كنتم ترغبون في علوِّ القدر في الدنيا والآخرة ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتريدون عزًّا لا تُتمُّه الليالي والأيام، ولا تستطيع الدهور والأعوام وتريدون هيبة بغير سلطان، وغنًا بلا مال، ومَنَعَة يعني حفظ بغير سلاح، وعلوِّ من دون عشيرة، وأعوان من دون أجر، وجندًا بلا ديوان فعليكم بالعلم، عليكم بالعلم، فاطلب العلم من أماكنه وابحث عن العلماء الثقات الذين هم على منهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم- الذين لا يُخالفون السلف، إذا فعلت ذلك أتتك المنافع عفوًا، وتلقى ما يُعتمدُ منها صفوًا، واجتهد في تحصيل العلم الليالي القلائل التي تعيشها مهما عشت، وتذوق حلاوة الكرامة طول عمرك بعد ذلك، وتتمتع بلذة الشرف بقية أيامك، واستبقي لنفسك الذكر به بعد وفاتك، فالعلماء العُقلاء دائمًا هم الذين يبحثون عن المنهج السلفي الصالح ليسيروا عليه .... سبحان الله

ولذا قال أحدهم:

ما مرَّ بي يومٌ ولا ليلةٌ

دون ثناءٍ حسنٍ أغنمهُ

وليس لي في ليلتي رِقْبَةٌ

من دون علمٍ نافعٍ أحكِمهُ

أزيد في علمي وفي قيمتي

وقيمة الإنسان ما يعلمه

فلا يُنال العلم براحة الجسم، وإنما لا يُنال العلم إلا بذهنٍ ثاقبٍ وزمنٍ طويلٍ، وكفاية وعملٍ كثيرٍ، ومُعلِّمٍ حاذِقٍ، وإرادةٍ رغبةٍ عظيمةٍ جدًّا في هذا العلم.

انظروا عطاء ابن أبي رباح من التابعين كان أسود أصلاً، وكان الناس إذا جاءوه هابوا أن يسألوه، إلا أن يمس عَارِضِيهِ أو يتنحح فيسمح لهم بأن يسألوه، هذا مقامه العظيم للعلم ومجاهد وهو إمام من تلاميذ ابن عباس، كان من السودان وكان مولاً لابن عباس وقال مجاهد: كان ابن عمر يأخذ لي بالركاب وَيُسَوِّي عَلَيَّ الثياب إذا ركبت؛ ابن عمر الصحابي الجليل العظيم يُكْرَم مجاهد العبد الأسود؛ لأنه بالعلم، بالعلم

وأبو عبيدة رضي الله عنه قال: قال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم؛ لأن الملوك حُكَّامٌ على الناس والعلماء حُكَّامٌ على الملوك والعلماء حكام على الملوك، سبحان الله

وقال الإمام الشعبي رضي الله عنه: رحل مسروق -وهو من التابعين في آية إلى البصرة- يعني في تفسير آية رحل إلى البصرة- فسأل عن الذي يفسرها، فأخبر أنه بالشام فتجهز إلى الشام - يعني راح العراق يسأل عنها قالوا له لا لا صاحبها في الشام، سافر إلى الشام-

وقال الشعبي: ما رأيت أحداً أطلب للعلم في الآثار من مسروق.

وقال سعيد بن المسيّب: إني كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد

وقال النبي ﷺ: «اطلبوا العلم كل اثنين وخمسين فإنه ميسر لمن طلبه، وإذا أراد أحدكم حاجة فليبتكر إليها فإن البركات في البكور» البركة دائماً في البكور، والحفظ لا يكون إلا مع شدة العناية من كثرة الدرس وطول المذاكرة والعلم عظيم جداً

اشترى أصحاب الشافعي له جارية، فلما كان الليل أقبل على الدرس والجارية تنتظر اجتماعه معها فلم يلتفت إليها، فلما أصبحت سارت إلى النّخاس -يعني البائع- وقالت: حبسوني مع

مجنون، فبلغ الشافعي رضي الله عنه على قولها أن هي بتقول عليه مجنون، فقال: المجنون من عرف قدر العلم ثم ضيَّعه أو توانى فيه حتى فاته

نسأل الله العفو والعافية

فليجتهد رجل في العلم يطلبه

كي لا يكون شبيه الشاء والبقر

الجهل أشبه بالعمى، وهو معنى قديم جاء به القرآن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ

الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: 46]

وقيل: لبعض الحكماء لما لا تعاتبون الجهّال؟ قال: لأننا لا نأمّل من العميان أن يُجزؤوا؛  
الجاهل مثل الأعمى، والأعمى لم يرى، فسبحان الله! فالإنسان لا ينبغي له أن يكون عنده  
فتورٌ في طلب العلم بحالٍ من الأحوال

أوصيكم ونفسي بالنشاط والجهد في طلب العلم، وبارك الله فيكم وحفظكم الله ونفعنا الله  
وإياكم بما قلنا وعلمنا الله ما ينفعنا ونفعنا بما علمنا  
بارك الله فيكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته